تيارات السياسة

لقد برح بك الخفاء يا عقيل سوار ... والخفاء مبرح لـ (حنظلة) ولا بد !!

اقرأ عقيل سوار مجدداً وعقيل سوار يعود ـ من غيبته الصغرى الاخيرة ـ فارساً يهزم السنين ، يعتلي مجدداً صهوة الكلمة (وفق تعبير اخينا ابي المهند الدكتور عبدالله فهد النفيسي) ، يطاردنا عقيل في مساحات صدورنا المغلفة بالرماد ، يطاردنا عقيل في ساحات عقلنا الباطن ، يطاردنا وهو يرجو أن يطردنا طرداً ويطرد نفسه ـ معنا ـ طرداً من جنان الحلم البنفسجي المخملي الملتمع بين جفوننا الغافية التماعات كذبه الأبلق وزوره الذاتي ومفارقته الموضوعية للتاريخ !

ومرة أو مرات خفنا على عقيل سوار من تلك التي عشقها ـ بعد أن أضحى كهلاً !! فبادلته العشق كما يبدو !

آلة من الحديد الـ «هاردوير» يسمونها (الكومبيوتر) وصفائح معدنية/بلاستيكية رقيقة يسمونها ـ إن لم يجافني الصواب ـ تسمية الـ «سوفت وير» !

ولكن المؤكد ـ الآن ـ ان عقيل سوار لم يكن مع معشوقته الجديدة سوى في (غيبة صغرى) اخرى !! سرعان ـ بحمد الله ـ ما انطفأت قنائلها فعاد إلى قلمه ، معشوقه وعاشقه القديم الأثير وحبّه الأول والأخير !

وهذه عادة اعتدناها من عقيل سوار منذ عرفناه قبل عشرين سنة !

مرة غاب عنا فسألنا عنه فقيل لنا انه اصبح مصوراً فوتوغرافياً يحتمل (الكميرة) على عاتقه دائراً في الأسواق والمحافل وفي وجوه الناس ، يأكل ـ بعرق جبينه ـ من (تصويره) للناس في أفراحهم وزغاريدهم العابرة وللناس في تواريخ قهرهم الخالد ونبضات القهر بين الناس في مطالع النهار وطيلة النهار وطيلة الأماسي !

بل ومرة سألنا عن عقيل سوار ودلنا عليه بعض أهل الخير فوجدناه في سوق النجّارين ـ والله ـ نجاراً من الطراز الأول ، جاداً في كدحه ، يسل المنشار في باطن صلبد الخشب ، ويطرّي بـ (الرنده) ما اخشوشن من وجه الخشب ، وفي براعة رشيقة ، ولكنها عنيدة ، يثبّت المسامير ثم يدق المسامير ـ حتى أبلغ المسامير عتواً ـ في مواضعها المرسومة من الأخشاب ، فلا تجد من مسمار واحد قد هوت عليه مطرقة عقيل سوار ثم اعوجّ أو ظهر وفيه يسيرُ نتوء !

وبالطبع فإن الابن البار ، عقيل سوار ، لـ (حالة بن سوار) لا بدَّ وأن تكون قد جرت في دمائه نبضات من نبضات «جلاليف» (أو «كلاليف») الأسلاف في (حالة بن سوار) و(حالة بن أنس) المجاورة لها مما التحم الآن ـ كله ـ فيما يسمى الآن بمنطقة (الحورة) ، شيئاً فشيئاً منذ بدايات العشرينيات من هذا القرن الميلادي وحتى اليوم .

وإذن فإنه لا عقيل سوار ـ قابلاً نحن أن نتصوره !! ـ من غير أن نتصور ، كذلك ، مشاهد (غيباته الصغرى) ... يغيب ويغيب ثم يعود فارساً يمتطي صهوة الكلمة ، لا يشق له غبار ، ولا يصيبه الوهن من مطارداته لنفسه ولنا جميعاً ، جاهداً أن يطردنا جميعاً من جنة الأحلام البنفسجية ، المخملية ، الكذوبة ، المنسوجة بخيوط الزيف الموضوعي وبخيوط التزوير الذاتي معاً !

●●●
●●●

وأحاورك يا عقيل سوار ، قسراً وقهراً ، فما تواريخنا الذاتية ـ حتى نحن الأغمار الصغار العائشين على ضفاف الهوامش ـ وما «سِيَرُنا» الذاتية» !! ، على تفاهة عمومياتها وتفصيلاتها معاً ، سوى نسيج من نسيج التاريخ الموضوعي ، في تياراته السفلية أو في منازله السامقة سواء بسواء !!

هل تذكر جيداً ، هل تريد ان تذكر جيداً ، سنوات ١٩٧٢ ، ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ، سنوات الروعة التي تبعتها (سنة الطبعة) ؟

هل تذكر كم كانت مواقعنا المؤدلجة الرسمية متباعدة بين بعضنا البعض ومتباعدة عن (علي سيار) كذلك ، ومع ذلك فإن روعة سنوات الروعة ـ تلك !! ـ قد قاربت بين قلوبنا بل بين عقولنا وضمائرنا فعكفنا جميعاً ـ عن طيب خاطر ـ في رحاب تلك الرائعة «صدى الاسبوع» ، ننسج بعيوننا نحن وينسج (علي سيار) معنا بعينيه ، ما حسبناه ، يومئذ ـ الفجر الصادق الذي لا فجر صادق غيره ؟!

هل تذكر كيف انه حتى (الطبقة) أو بالتحديد فوارق (الطبقة الاجتماعية) لم تباعد بين قلوبنا نحن ولا بين قلوبنا وقلب (علي سيار) ؟!

تلكم سنيُّ ما قبل (سنة الطبعة) يا عقيل ، وما أجمل أن نذكر سنيَّ ما قبل (سنة الطبعة) ونحن نعود اليوم الى امتطاء صهوات الكلمة ، نحاول أن نستعيد الى عيوننا دهشتها الطفولية ، القديمة ، البكر ، ونحاول أن نستدعي (الفارس القديم) أو ربما (مشروع الفارس القديم) الذي انفلت من بين أصابعنا فتبعثر فتلاشى في رمال التبعية الروحية/ الثقافية/ الاستهلاكية كما يضيع الماء ، من بين الأصابع ، ترشفه رشفاً رمال الصحراء العطشى المنجازة ضد الروح وضد الانسان ، أو كما ضاع يوماً (الفارس القديم) عن صلاح عبدالصبور فبكاه بدم غزير لا دموع !

●●●
●●●

ولقد أسعدني يا عقيل سوار أن التقي مجدداً مع عقيل سوار ، قديماً/جديداً ، ينضح بتواريخ القهر الخالد ، يكتب عن حقائق انتمائنا إلى تكريت وانتماء تكريت الينا ، يكتب عن عبث أن ترهن (طاسة الدهن) في يد واحدة أو بين يدين لا ثالثة لهما ، يكتب عن ابتذال الخطباء ـ هذه الأيام ـ وشعراء المديح والهجاء ـ القائم سوقهم العكاظي هذه الأيام ـ يغازلون (الطاسة) ويناغون (الدهينة) مناغاة بالغة اللزوجة ، يقولون لها: «يا دهينة لا تنكتين» ، بينما (الدهينة) ترجف بطاستها اليد الواحدة الوحيدة ـ المعلومة ـ وقد اندلقت (الدهينة) ثم اندلقت فشربت الأرض أعظمها وما بقي من الدهينة في الطاسة فهو على وشك الاندلاق نهائياً بفعل الزلازل المزلزلة ولسبب أن اليد الواحدة الوحيدة ـ المعلومة ـ ما خلقها الله ابتداء وفي طاقتها أبداً الحفاظ على طاسة الدهينة من أن تسقطها الزلازل ، كما ليس في طاقة تلك اليد الواحدة الوحيدة ـ المعلومة ـ أن تقبض بقوة على نواميس الكون البشري ـ من أصله الذي أرساه الله يوم خلق هذا الكون البشري وخلق معه نواميسه الحاكمة الجارية ـ سواء من أجل أن توقف هذه اليد الواحدة الوحيدة ـ المعلومة ـ الزلازل المزلزلة أو من أجل أن تمنع وقوعها ابتداء !

●●●
●●●

ولقد دار الزمان دورته يا عقيل سوار وبدأت تنقضي آثار (سنة الطبعة) ، آثراً بعد أثر ، وفي عيونك الآن أرقب (حنظلة) مقبلاً اقباله الأكيد ليصحح التواريخ كلها بالتاريخ الجماهيري بل ليصحح حتى عثرات التاريخ الجماهيري نفسه بالنهوض مجدداً ومجدداً ومجدداً ، بالنهوض على القدمين ، على قدمي ٢٠٠ مليون حنظلة ، واستحثاث الخطى نحو فجر جديد صادق ، آت لا محالة ، على كثرة ما تعاقب في عيوننا ، في قريب افقنا وبعيده ، من لوامع الفجر الكاذب !

وفي نهاية المطاف ـ يا عقيل ـ فإن حنظلة ليس إلهاً نعبده من دون الله ، ولا هو بالنبي المرسل الذي يجري الله على يديه المعجزات والخوارق .

وفي نهاية المطاف ـ يا عقيل ـ فنحن ـ كلنا ـ لسنا آلهة ولا أنبياء يمدنا مدد الوحي من السماء !

نحن نكبو ونحن نعثر ونحن نخطىء ونحن نقترف الخطايا بالأيدي والجوارح ، ونحن يجوز علينا الضعف مرات ومرات وتغلبنا اهواء نفوسنا مرات ومرات و(حنظلة) لا يتوقع منا إلا ما يتوقعه هو من نفسه وهو لنفسه : مجرد بشر في مصطرع جدلي عظيم بين هتافات السفوح بنا وهتافات القمم بنا !

بين هتافات عين (السلطان) وهتافات عين طفل رائع جريح أو شهيد في فلسطين ، أو عين عامل منجم معادن في الجزائر ، أو عين بائع صحف في المغرب ،

بالرماد ، يطاردنا عقيل في ساحات عقلنا الباطن ، يطاردنا وهو يرجو أن يطردنا طرداً ويطرد نفسه ـ معنا ـ طرداً من جنان الحلم البنفسجي المخملي الملتمع بين جفوننا الغافية التماعات كذبه الأبلق وزوره الذاتي ومفارقته الموضوعية للتاريخ !

ومرة أو مرات خفنا على عقيل سوار من تلك التي عشقها ـ بعد أن أضحى كهلاً !! فبادلته العشق كما يبدو !

آلة من الحديد الـ «هاردوير» يسمونها (الكومبيوتر) وصفائح معدنية/بلاستيكية رقيقة يسمونها ـ إن لم يجافني الصواب ـ تسمية الـ «سوفت وير» !

ولكن المؤكد ـ الآن ـ ان عقيل سوار لم يكن مع معشوقته الجديدة سوى في (غيبة صغرى) أخرى !! سرعان ـ بحمد الله ـ ما انطفأت قنائلها فعاد إلى قلمه ، معشوقه وعاشقه القديم الأثير وحبُّه الأول والأخير !

وهذه عادة اعتدناها من عقيل سوار منذ عرفناه قبل عشرين سنة !

مرة غاب عنا فسألنا عنه فقيل لنا انه أصبح مصوراً فوتوغرافياً يحتمل (الكميرة) على عاتقه دائراً في الأسواق والمحافل وفي وجوه الناس ، يأكل ـ بعرق جبينه ـ من (تصويره) للناس في أفراحهم وزغاريدهم العابرة وللناس في تواريخ قهرهم الخالد ونبضات القهر بين الناس في مطالع النهار وطيلة النهار وطيلة الأماسي !

بل ومرة سألنا عن عقيل سوار ودلنا عليه بعض أهل الخير فوجدناه في سوق النجّارين ـ والله ـ نجاراً من الطراز الأول ، جاداً في كدحه ، يسل المنشار في باطن صليد الخشب ، ويطرّي بـ (الرنده) ما أخشوشن من وجه الخشب ، وفي براعة رشيقة ، ولكنها عنيدة ، يثبّت المسامير ثم يدق المسامير ـ حتى أبلغ المسامير عتواً ـ في مواضعها المرسومة من الأخشاب ، فلا تجد من مسمار واحد قد هوت عليه مطرقة عقيل سوار ثم اعوجّ أو ظهر وفيه يسيرُ نتوء !

وبالطبع فإن الابن البار ، عقيل سوار ، لـ (حالة بن سوار) لا بدَّ وأن تكون قد جرت في دمائه نبضات من نبضات «جلاليف» (أو «كلاليف») الأسلاف في (حالة بن سوار) و(حالة بن أنس) المجاورة لها مما التحم الآن ـ كله ـ فيما يسمى الآن بمنطقة (الحورة) ، شيئاً فشيئاً منذ بدايات العشرينيات من هذا القرن الميلادي وحتى اليوم .

وإذن فإنه لا عقيل سوار ـ قابلاً نحن أن نتصوره !! ـ من غير أن نتصور ، كذلك ، مشاهد (غيباته الصغرى) ... يغيب ويغيب ثم يعود فارساً يمتطي صهوة الكلمة ، لا يشق له غبار ، ولا يصيبه الوهن من مطارداته لنفسه ولنا جميعاً ، جاهداً أن يطردنا جميعاً من جنّة الأحلام البنفسجية ، المخملية ، الكذوبة ، المنسوجة بخيوط الزيف الموضوعي وبخيوط التزوير الذاتي معاً !

●●●

●●●

وأحاورك يا عقيل سوار ، قسراً وقهراً ، فما تواريخنا الذاتية ـ حتى نحن الأغمار الصغار العائشين على ضفاف الهوامش ـ وما «سيَرُنا» الذاتية» !! ، على تفاهة عمومياتها وتفصيلاتها معاً ، سوى نسيج من نسيج التاريخ الموضوعي ، في تياراته السفلية أو في منازله السامقة سواء بسواء !!

هل تذكر جيداً ، هل تريد أن تذكر جيداً ، سنوات ١٩٧٢ ، ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ، سنوات الروعة التي تبعتها (سنة الطبعة) ؟

هل تذكر كم كانت مواقعنا المؤدلجة الرسمية متباعدة بين بعضنا البعض ومتباعدة عن (علي سيار) كذلك ، ومع ذلك فإن روعة سنوات الروعة ـ تلك !! ـ قد قاربت بين قلوبنا بل بين عقولنا وضمائرنا فعكفنا جميعاً ـ عن طيب خاطر ـ في رحاب تلك الرائعة «صدى الأسبوع» ، ننسج بعيوننا نحن وينسج (علي سيار) معنا بعينيه ، ما حسبناه ، يومئذ ـ الفجر الصادق الذي لا فجر صادق غيره ؟!

هل تذكر كيف أنه حتى (الطبقة) أو بالتحديد فوارق (الطبقة الاجتماعية) لم تباعد بين قلوبنا نحن ولا بين قلوبنا وقلب (علي سيار) ؟!

تلكم سنيُّ ما قبل (سنة الطبعة) يا عقيل ، وما أجمل أن نذكر سنيَّ ما قبل (سنة الطبعة) ونحن نعود اليوم الى امتطاء صهوات الكلمة ، نحاول أن نستعيد الى عيوننا دهشتها الطفولية ، القديمة ، البكر ، ونحاول أن نستدعي (الفارس القديم) أو ربما (مشروع الفارس القديم) الذي انفلت من بين أصابعنا فتبعثر فتلاشى في رمال التبعية الروحية/ الثقافية/ الاستهلاكية كما يضيع الماء ، من بين الأصابع ، ترشفه رشفاً رمال الصحراء العطشى المنحازة ضد الروح وضد الانسان ، أو كما ضاع يوماً (الفارس القديم) عن صلاح عبدالصبور فبكاه بدم غزير لا دموع !

●●●

●●●

ولقد أسعدني يا عقيل سوار أن التقى مجدداً مع عقيل سوار ، قديماً/جديداً ، ينضح بتواريخ القهر الخالد ، يكتب عن حقائق انتمائنا إلى تكريت وانتماء تكريت الينا ، يكتب عن عبث أن تُرهن (طاسة الدهن) في يد واحدة أو بين يدين لا ثالثة لهما ، يكتب عن ابتذال الخطباء ـ هذه الأيام ـ وشعراء المديح والهجاء ـ القائم سوقهم العكاظي هذه الأيام ـ يغازلون (الطاسة) ويناغون (الدهينة) مناغاة بالغة اللزوجة ، يقولون لها: «يا دهينة لا تنكتّين» ، بينما (الدهينة) ترجف بطاستها اليد الواحدة الوحيدة ـ المعلومة ـ وقد اندلقت (الدهينة) ثم اندلقت فشربت الأرض أعظمها وما بقي من الدهينة في الطاسة فهو على وشك الاندلاق نهائياً بفعل الزلازل المزلزلة ولسبب أن اليد الواحدة الوحيدة ـ المعلومة ـ ما خلقها الله ابتداء وفي طاقتها أبداً الحفاظ على طاسة الدهينة من أن تسقطها الزلازل ، كما ليس في طاقة تلك اليد الواحدة الوحيدة ـ المعلومة ـ أن تقبض بقوة على نواميس الكون البشري ـ من أصله الذي أرساه الله يوم خلق هذا الكون البشري وخلق معه نواميسه الحاكمة الجارية ـ سواء من أجل أن توقف هذه اليد الواحدة الوحيدة ـ المعلومة ـ الزلازل المزلزلة أو من أجل أنْ تمنع وقوعها ابتداء !

●●●

●●●

ولقد دار الزمان دورته يا عقيل سوار وبدأت تنقضي آثار (سنة الطبعة) ، آثراً بعد أثر ، وفي عيونك الآن أرقب (حنظلة) مقبلا اقباله الأكيد ليصحح التواريخ كلها بالتاريخ الجماهيري بل ليصحح حتى عثرات التاريخ الجماهيري نفسه بالنهوض مجدداً ومجدداً ومجدداً ، بالنهوض على القدمين ، على قدمي ٢٠٠ مليون حنظلة ، واستحثاث الخطى نحو فجر جديد صادق ، آت لا محالة ، على كثرة ما تعاقب في عيوننا ، في قريب أفقنا وبعيده ، من لوامع الفجر الكاذب !

وفي نهاية المطاف ـ يا عقيل ـ فإن حنظلة ليس إلها نعبده من دون الله ، ولا هو بالنبي المرسل الذي يجري الله على يديه المعجزات والخوارق .

وفي نهاية المطاف ـ يا عقيل ـ فنحن ـ كلنا ـ لسنا آلهة ولا أنبياء يمدنا مدد الوحي من السماء !

نحن نكبو ونحن نعثر ونحن نخطىء ونحن نقترف الخطايا بالأيدي والجوارح ، ونحن يجوز علينا الضعف مرات ومرات وتغلبنا اهواء نفوسنا مرات ومرات و(حنظلة) لا يتوقع منا إلا ما يتوقعه هو من نفسه وهو لنفسه : مجرد بشر في مصطرع جدلي عظيم بين هتافات السفوح بنا وهتافات القمم بنا !

بين هتافات عين (السلطان) وهتافات عين طفل رائع جريح أو شهيد في فلسطين ، أو عين عامل منجم معادن في الجزائر ، أو عين بائع صحف في المغرب ، أو عين بائع فول ، على عربة ، في مصر ، أو عين مزارع تبغ بسيط ، لا يملك أرضه ، في لبنان ، أو عين بائع خضار متجول في اليمن ، أو عين ملمّع أحذية متجول بعدّته في سوريا ، أو عين شيخ جليل ـ في اي مكان من الوطن العربي الكبير ـ قد توارى إلى الهامش ، مهمشاً فقيراً ، حسيراً ، قد نهب اللصوص الكبار ، اقطاعيو المزارع القُطرية الخاصة !! ، حيوية عمره كله ـ في شقاء موصول وشبه سخرة متصلة قسرية ـ فلما اصابه الهرم وعجز عن مواصلة السخرة التي فرضها عليه اللصوص الكبار رماه اللصول الكبار كما ترمى (النواة) من بعد التهام (التمرة) ، ولكنهم ما غفلوا عن اولاده فاحفاده فساقوهم سوقاً ـ كلهم من بعده ـ في قوافل السخرة الاجبارية (العامة) المتوالية المتوارثة في تقاليد (المزارع القُطرية الخاصة) !!

●●●

●●●

ولقد برَّح بك الخفاء يا حنظلة ويبرَّح الخفاء بحنظلة ولا بدَّ !!

حافظ الشيخ